بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة:(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(124)

المعنى الإجمالي: ذكَّرَ الله تعالى نبيَّه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ بما ابتَلى به خليلَه إبراهيم عليه السَّلام، من تكاليفَ فرَضَها عليه، فقام بها حقَّ القيام، فأعْلَمه الله تعالى بأنَّه سيجعله قُدوةً يأتمُّ به الناس، فسأله إبراهيمُ أن يكون مَن بعده مِنَ الأئمَّة من ذُريَّته، فأجابه الله تعالى بأنَّ الإمامةَ في الدِّين لا تُعطى لظالِم. الدررالسنية

(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) أي: واذكُر يا محمَّد، ابتلاءَ الله تعالى لعبده وخليله إبراهيمَ عليه السَّلام بتكاليفَ فرَضها عليه ربُّه سبحانه، فأدَّاها إبراهيمُ عليه السَّلام على وجهٍ تامٍّ، موفِّيًا جميعَ ذلك. موسوعة التفسير

✉فضيلة إبراهيمَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ لقوله تعالى :رَبُّهُ؛ حيث أضاف رُبوبيَّته إلى إبراهيم، وهي ربوبيَّة خاصَّة. الدرر السنية

قال الشيخ سليمان اللهيميد: (بِكَلِمَاتٍ) **اختلف العلماء في المراد بالكلمات على أقوال:**

❶قيل: شرائع الإسلام.

❷وقيل: ابتلاه الله بالمناسك.

❸وقيل: ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) سورة البقرة آية 124 ، قَالَ : " ابْتَلاهُ اللَّهُ بِالطَّهَارَةِ ، خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ وَخَمْسٌ فِي الْجَسَدِ ، فِي الرَّأْسِ قَصُّ الشَّارِبِ ، وَالْمَضْمَضَةُ وَالاسْتِنْشَاقُ وَالسِّوَاكُ وَفَرْقُ الرَّأْسِ ، وَفِي الْجَسَدِ تَقْلِيمُ الأَظْفَارِ ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ ، وَالْخِتَانُ ، وَنَتْفُ الإِبْطِ ، وَغَسْلُ مَكَانِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ بِالْمَاءِ " .هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ

❹وقيل: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن: فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم، ومحاجته نمروذ في الله.

❺وقيل: بذبح ابنه.

❻ وقيل: بأداء الرسالة.

قال ابن جرير: ما حاصله أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع، قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسلم إليه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 124

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) أي: إنِّي مُصيِّرك يا إبراهيم، إمامًا يأتمُّ بك الناسُ، ويَقتدون بك. موسوعة التفسير

☜قوله (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً) وقوله (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ...) **وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم.**

⇦ونهض بوجه عَبَدة الأصنام وتحطيم الأصنام، والوقوف ببطولة في تلك المحاكمة التاريخية، ثم إلقاؤه في وسط النيران، وثباته ورباطة جأشه في كل هذه المراحل.

⇦وهاجر من أرض عبدة الأصنام والابتعاد عن الوطن، والاتجاه نحو أصقاع نائية لأداء رسالته.

⇦وأسكن الزوج والولد في واد غير ذي زرع بمكة، حيث لم يسكن فيه إنسان.

⇦فإبراهيم أخذ ولده إلى المذبح والاستعداد التام لذبحه، طاعة لأمر الله سبحانه.

قال تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) (106) الصافات

(**فَأَتَمَّهُنَّ**) أي: قام بهن؛ أي قام بهن كلهن، وأداهن أحسن تأدية من غير تفريط ولا توان. سليمان اللهيميد

كما قال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ)(37) النجم أي وفَّى جميع ما شرع له، فعمل به صلوات الله عليه.

قوله تعالى (**فَأَتَمَّهُنَّ**) **في هذا ثناء على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أثنى الله عليه في آيات كثيرة:**

قال تعالى (وَاتَّخَذَ اللَّـهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)(النساء : ١٢٥).

وقال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (120) النحل.

وقال تعالى (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (130)البقرة

وقال تعالى (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ....)4الممتحنة

وثناء الله على شخص لفائدتين:

الأولى: لنقوم بالثناء عليه.

والثانية: لنقتدي به.

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) الإمام القدوة، والمعنى: أي جاعلك إماماً يقتدي بك الناس ويأتمون بك، ويقتدي بك الصالحون.

قال الفخر الرازي: إن الله تعالى لما وعده بأن يجعله إماماً للناس حقق الله تعالى ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الشرائع على شدة اختلافها ونهاية تنافيها يعظمون إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويتشرفون بالانتساب إليه إما في النسب وإما في الدين والشريعة حتى إن عبدة الأوثان كانوا معظمين لإبراهيم صلى الله عليه وسلم، وقال الله تعالى في كتابه (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) (123) النحل وقال في آخر سورة الحج (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ)78الحج

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام اختصه الله عز وجل بالفضائل العظيمة، والمكارم الجليلة، فكان الإمام، والأمة، والحنيف، القانت لله عز وجل، الذي ينتسب إليه جميع الأنبياء بعده، ويؤمن به جميع أتباع الشرائع (المسلمون والنصارى واليهود).

⇦ وجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في آخر الصلاة وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى ال ابرهيم.....

قال سعيد مصطفى ذياب: قد يبتليك الله ليرفعَ مكانتك، ويُعْلِيَ قَدْرَكَ، ويَنْشُرَ بين الناسِ فضلَكَ، ويَرْفَعَ في العالمين ذِكْرَكَ، إذا كنت عند السراءِ شاكرًا، وعند الضراءِ صابرًا، إذا وقفت عند حدوده، وامتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه.

هو ابتلاء سيمرُ به الجميعُ حتمًا، وسيتعرض له الكلُ يقينًا، لا شك في هذا ولا امتراء.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ}. سُورَةُ العنكبوت: الآية/ 2

وقَالَ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}. سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ 31

هذا إِبْرَاهِيمُ الخليل عليه السلام ابتُلِيَ بصنوفٍ من الابتلاءِ، أسكن أهله بواد غير ذي زرع بأمر ربه، وجادل قومه في الله، وأعلن التوحيد حين ماجت الأرض بالشرك حتى أُلقي في النار، وأُمر بذبح ولدِهِ فامتثل وصبرَ، وما وهنت عزيمته، ولا ضعفت قواه، وما توانى في أمر الله، وقام في وجه أشد أهل الأرض عتوًا، النمرود الذي ادعى الربوبية، وَقَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، فناظره حتى بهت الذي كفر، وبان للناس كذبه، وظهر للناس عجزه .

فلما صبر على الابتلاء، وقام بِكَلِمَاتِ رَبِّهِ حق القيامِ حتى أَتَمَّهُنَّ، كان جزاؤه البشرى من الله تعالى: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}، واتخذه ربه خليلًا .

سُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ، أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ فَقَالَ: لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِن الله ابْتُلِيَ نوحًا وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ومحمدا صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ). جامع المسائل لابن تيمية

وهذا الإمام أحمد بن حنبل عُرِضَ على السيفِ، وضرب ضربًا شديدًا وهو في الثمانين من عمره، فثبت على الحق، وصبر على الأذى، فكان إمامًا لأهل السنة والجماعة.

أنَّ الله سبحانه وتعالى يُثيب العاملَ بأكثر من عمله؛ فإبراهيم صلَّى الله عليه وسلَّمَ لَمَّا أتمَّ الكلمات، جعَله الله تعالى إمامًا للناس، وأمَر الناس أن يتَّخذوا من مقامِه مصلًّى. الدرر السنية

(قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) أي: لَمَّا جعَل الله تعالى إبراهيم إمامًا، سأل ربَّه عزَّ وجلَّ أن تكون الأئمَّةُ من بعده من ذُريَّته. موسوعة التفسير

(قَالَ) إبراهيم عليه السلام (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمة يُقتدَى بهم.

قال ابن عطية: هو على جهة الدعاء والرغباء إلى الله، أي: ومن ذريتي يا رب فاجعل.

قال ابن عباس: سأل إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته إمام، فأعلمه الله أن في ذريته من يعصي فقال (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ).

قال السعدي: فلما اغتبط إبراهيم عليه السلام بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته لتعلو درجته، ودرجة ذريته.

هذا وقد جعل الله تعالى في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب .

قال تعالى (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)

قال السعدي: فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بابنه محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

قال السعدي وهذا من أعظم المناقب والمفاخر أن تكون مواد الهداية والرحمة، والسعادة والفلاح والفوز في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون.

قال ابن عاشور: وإنما قال إبراهيم (ومن ذريتي) ولم يقل وَذُريتي لأنه يعلَم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يُقتدَى بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

(قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) أي: أجاب الله تعالى عن سؤال خليله إبراهيمَ عليه السَّلام، بأنَّه لا يَمنح مرتبةَ الإمامة في الدِّين أحدًا من الظالِمين من ذريَّته؛ لأنَّ الإمامة تُعطَى لأوليائه، وأهلِ طاعته، دون أعدائِه. موسوعة التفسير

قال تعالى :(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) (الصافات: 113)

وقال سبحانه :(فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) (النساء: 54-55)

قال ابن جرير: هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماماً يقتدي به أهل الخير.

ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه.

قال سعيد مصطفى ذياب: من قبح الظلم، ومن سوء عاقبة الظالمين، أنهم لَا يَنَالُهم عَهْدُ الله تعالى، وليس لهم أمانٌ من عذابه، فهم في خوف دائم من أن يحل بهم عقاب الله تعالى في الدنيا، مع ما ينتظرهم من بشاعةِ المنقلبِ، وسُوءِ المصير.

فلا تَهْدَأُ نفوسُهُم ممَا تُثِيرُهُ الهواجس فيها مِنْ كَوَامِنَ الرُّعْبِ، جزاء ما فعلوه بعباد الله، والجزاء من جنس العمل، مهما احتاطوا لأنفسهم، ومهما بالغوا في التترس بحرسهم، واختبأوا في حصونهم، وهل من عقاب الله تعالى مفرٌّ؟ وهل لأحد منه مهربٌ؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه بسند صحيح

هي سنةٌ كونيةٌ لا تتخلفُ، ووعدٌ صادقٌ لا محالةَ سيتحققُ، لذلك لا تتعجلْ هلاكَ الظالمِ، لكن ترقبْ أخذَهُ، وانتظر عَذَابَهُ، ولا تظنن أنه بمنأى من العذاب، أو أن الله عنه غافل، إنما هو استدراج الله له؛ «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». رواه البخاري ومسلم

فإذا كان يوم القيامة، أكل الظالم يديه ندمًا، ولكن حين لا ينفع الندم، واعتذر ولكن لا يُسمعُ له، ولا يُقبلُ له عذرٌ: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}. سُورَةُ غافر: 53

يَوَدُّ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، لَوْ وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، ولكن هيهات لا يقبل يَوْمَئِذٍ فداءٌ؛ {وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}. سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ 42

الشيخ سليمان اللهيميد قال صفات إبراهيم عليه السلام :

❶الصفة الأولى: أمة

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا)120 النحل

قال الشيخ الخضيري: الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق.

قال الطبري: الأمة أي الإمام، أي قدوة يقتدى به في الخير.

❷الصفة الثانية: قانت.

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا)120 النحل

⇦والقنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع.

❸الصفة الثالثة: حنيفاً.

والحَنَف : الميل عن الضلال إلى الاستقامة قال ابن كثير : الحنيف : المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُدَّ إمام الحنفاء الموحدين ، قال تعالى : [ولَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ]، وقال : [ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ]، وهكذا فليكن أولياء الله .

❹**الصفة الرابعة: شاكر.**

(قال تعالى شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) 121النحل أي قائماً بشكر نعم الله عليه.

نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة.

بالقلب، قال تعالى (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)53النحل.

وباللسان، قال تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (11) الضحى.

وبالجوارح، قال تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)13سبأ.

❺**الصفة الخامسة: الحلم.**

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) (75) هود

☜**والحلم: ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الاستثارة.**

☜ **والحليم: الكثير الحلم وموقف إبراهيم من مقالة أبيه** (لأَرْجُمَنَّكَ).

قال تعالى (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) (47)

☜**ومن العتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة وأخبرته بما أمرت بها قال** (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وجَاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)74هود.

☜**ولم يكن حلم إبراهيم ذريعة يتذرع للسكوت عن المنكر بل كان يعلن الحق وينكر الباطل** (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57)الأنبياء.

❻**الصفة السادسة: أوّاه.**

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ((75) هود

⇦والذي يتحقق من معنى الأوّاه أنه الخاشع الدعّاء المتضرع، وكثرة تأوّه إبراهيم وتضرعه بين يدي ربه قد ذكرت في آيات كثيرة تدل على تحقيق إبراهيم (رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وإِلَيْكَ أَنَبْنَا وإِلَيْكَ المَصِيرُ) وجدير بمن سلك طريق الدعوة أن يجعل تعجيل الإنابة من أبرز سماته ليكسب عون ربه وتسديده ومحبته.

❼**الصفة السابعة: السخاء.**

قال تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27)الذاريات

فذكر أن الضيف مكرمون لإكرام إبراهيم لهم، ولم يذكر استئذانهم ليدل على أنه قد عرف بإكرام الضيفان، مع أنهم قوم منكرون لا يعرفهم فقد ذبح لهم عجلاً واستسمنه، ولم يعلمهم بذلك بل راح: أي ذهب خفية حتى لا يُشعر به، تجاوباً لضيافة، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان، وخدمهم بنفسه، فجاء به ومرّ به إليهم ولم يقربهم إليه، وتلطف مبالغة في الإكرام فقال (أَلَا تَأْكُلُونَ)

❽**الصفة الثامنة: الصبر.**

كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الصبر حتى استحق أن يكون من أولي العزم الذين أمر رسولنا صلى الله عليه وسلم أن يصبر كصبرهم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) 35الأحقاف

❾**الصفة التاسعة: شجاعته**

واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم وقال مقسماً (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) (57)الأنبياء
وقوله لهم (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (67)الأنبياء).

❿**الصفة العاشرة: تحقيقه الكامل لعقيدة الولاء والبراء.**

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(26)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي)(27)الزخرف

فكل عدو لله وإن قربه النسب تجب البراءة منه، وكل ولي لله وإن باعدت به الأوطان والأزمان تجب موالاته ومحبته وقد أمرنا أن نتأسى بإبراهيم في ذلك (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ..)4الممتحنة.

الصفة الحادية عشرة : سلامة القلب.

قال تعالى (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (84)الصافات

وسلامة القلب نوعان:

الاول: في حق الله وهو سلامة قلبه من الشرك، وإخلاصه العبودية لله، وصدق التوكل عليه.

والثاني: في حق المخلوقين بالنصح لهم وإيصال الخير إليهم، وسلامة القلب من الحقد والحسد وسوء الظن والكبر وغير ذلك.

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) 125

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا كان من إمامة إبراهيمَ عليه السَّلام اتِّباع الناس له في حجِّ البيت، الذي شرَّفه الله سبحانه ببنائِه- قال سبحانه إثرَ ذلك ناعيًا على أهل الكتاب مخالفتَه وترْكَ دِينه، وموطِّئًا لأمر القِبلة:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا) أي: واذكُر يا محمَّد، هذا الأمرَ؛ فقد جعل الله تعالى البيت الحرام محلًّا يَشتاقُ إليه الناسُ على الدوام، فيَرجعون إليه، ولو تردَّدوا إليه عِدَّةَ مرَّات، وهو معاذٌ لهم يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم، وحتى الحيوانات والجمادات تكون آمنةً فيه. موسوعة التفسير

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) (جَعَلْنَا) بمعنى صيرنا (الْبَيْتَ) يعني الكعبة

(مَثَابَةً لِلنَّاسِ) أي مرجعاً، أي: يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم عنه، وقيل: المثابة من الثواب، أي: يثابون هنالك.

قال في التسهيل: لأنّ الناس يرجعون إليه عاماً بعد عام.

وقال الشيخ ابن عثيمين: أي يرجعون إليه من كل أقطار الدنيا سواء ثابوا إليه بأبدانهم أو بقلوبهم، فالذين يأتون إليه حجاجاً أو معتمرين يثوبون إليه بأبدانهم، والذين يتجهون إليه كل يوم بصلواتهم يثوبون إليه بقلوبهم.

قال ابن كثير: في هذه الآية يذكر الله تعالى شرف البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً من كونه مثابة للناس، أي جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطراً ولو ترددت إليه كل عام

استجابة من الله تعالى، لدعاء خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) إلى أن قال (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ)، ويصفه تعالى أنه آمناً من دخله أمن.

قال سعيد مصطفى ذياب: فيضٌ غامرٌ من السكينةِ، وظلٌ وارفٌ من الطمأنينةِ، وسُحُبٌ وابلةٌ من الرحمةِ، يشعرُ بها من دخلَ البيتَ الحرامَ، ويعيش في كنفها من جلسَ يذكرُ اللهَ في جَنَبَاتِهِ، ويرتعُ في رياضها من قامَ يصلي في أفنائِهِ .
ولم لا؟ وهو جنةُ اللهِ في الأرضِ، ومهوى أفئدةِ المؤمنين، وبه تعلقت قلوبُ الصالحين، فلا يدخله منهم أحدٌ إلا وقد انشرحَ صدرُهُ، وانقشعَ همُهُ، وزالت كآبَتُه، واطمأنت نفسُهُ، وكأنَ يدًا حانيةً تداوي جراحَهُ، وتمسحُ أحزانَهُ، يأمنُ فيه على نفسهِ أكثرَ من أمنهِ عليها في مخدعِهِ، ليس فيه خوفٌ ولا أحزانٌ، وأنَّى يأتيه الخوفُ، ومن أين تأتيه الأحزانُ، وهو بيتِ اللهِ، وفي ضيافةِ الكريمِ الرحمنِ، فلا عجبَ أنْ تتعلقَ به القلوبُ، وتتشوفُ لزيارتِهِ النفوسُ، أليست تلك دعوةُ الخليلِ؟ {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}. سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ 37
فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ بِهَا، فَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ.
حتى رأينا من يدخرُ من قُوتِهِ على فقرِهِ أربعين سنةً ليحجَ إلى بيتِ اللهِ.
وَيُسْأَلُ أَحَدُهُم – وقد عَضَّهُ الفقرُ بِنَابِهِ، وصَبَّ عليه البؤسُ سوطَ عذابِهِ – ما هي أعظمُ أمنيةٍ عندك؟ فيقول أَنْ أحجَ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ما تمنى مالًا، ولَا اشْتَهَى ضِيَاعًا، ولَا أرادَ عَقَارًا، على فَاقَتِهِ، وشدةِ حَاجَتِهِ.
فلا عجبَ أن ترى العينَ عِنْدَ وَدَاعِهِ هَامِلَةً، والنفسَ عِنْدَ فِرَاقِهِ مُنْكَسِرَةً، والألسُنَ تلهجُ بألا يكوَن آخرَ العهدِ بِهِ.
اللهم اشتاقت قلوبنا إلى بيتك فلا تحرمنا زيارته.

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا)

(وَأَمْنًا) أي: موضع أمن، فمن دخله كان آمناً، فيأمن الناس فيه على دمائهم وأموالهم حتى أشجار الحرم وحشيشه آمن من القطع. الطبري

قال سبحانه: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) [البقرة: 126]

مكة بلد آمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، ولَا يَعْضِدَ بهَا شَجَرَةً). متفق عليه

فلا يحل القتال في مكة لأحد إلا الرسول صلى الله عليه وسلم حين الفتح فقط، فهي لم تحل لأحد قبله، ولن تحل لأحد بعده، ولهذا يحرم القتال في مكة المكرمة إلا على سبيل الدفاع عن النفس، قال الله تعالى: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (191) البقرة

قال الشيخ سليمان اللهيميد خصائص حرم مكة:

❶: يجب السفر إليها (شد الرحال إليه فرض).

قال تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (97) الحج

❷ : قصْدُه مكفراً للذنوب .

قال صلى الله عليه وسلم (مَن حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ) بخاري

وقال صلى الله عليه وسلم (تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ، فإنَّهما ينفِيانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ وليسَ للحجِّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنَّةِ). صحيح الترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم (العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ) صحيح بخاري

❸ : أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

قال صلى الله عليه وسلم (صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ) صحيح الجامع.

❹ : أن مكة أفضل البلاد.

عن عبد الله بن عدي رضي الله عنه، رأيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ واقفًا على الحزورةِ(مرتفع) فقالَ: واللَّهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ) صحيح الترميذي

❺ : أنها قبلة أهل الأرض كلهم.

قال تعالى (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ)150البقرة.

❻: أن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض.

قال تعالى(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (96)ال عمران

عن أبي ذر الغفاري قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أوَّلَ؟ قالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ) صحيح بخاري

❼: أنه يحرم استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة.

كما قال صلى الله عليه وسلم (فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أوْ غَرِّبُوا) صحيح بخاري

(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى :(**وَاتَّخِذُوا**) قراءتان:

❶(اتَّخَذوا) بفتح الخاء، على الخبَر عمَّن كان قبلنا من المؤمنين، أنَّهم اتخَذوا من مقام إبراهيم مصلًّى.
❷(اتَّخِذوا) بكسر الخاء، والمعنى: اتَّخِذوا-أيُّها الناس-من مقام إبراهيم مصلًّى تُصلُّون عنده.

(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) أي: اجعَلوا من مقامات إبراهيمَ عليه السَّلام، وهي شعائرُ الحجِّ، كعرفةَ ومزدلفةَ، ورمْي الجمرات، وغيرها- اجعلوها أماكنَ للعِبادة كالدُّعاء، وقد اتَّخذ الناسُ ذلك مقتدِين بإبراهيم عليه السَّلام، ويدخُل في ذلك، أداءُ ركعتَي الطَّواف خَلْفَ المقام المشهور بمقام إبراهيمَ عليه السَّلام. موسوعة التفسير

قال القرطبي: أنه الحجر الذي تعرفه الناس اليوم الذي يصلون عنده ركعتي طواف القدوم، وهذا قول جابر بن عبد الله وابن عباس وقتادة وغيرهم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا انتَهَى إلى مَقامِ إبراهيمَ، قرأ: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) فَصلَّى رَكْعتينِ، فَقرأ فاتحةَ الكتابِ، وَ قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ، وَ قُلْ هوَ اللَّهُ أحَدٌ ثمَّ عادَ إلى الرُّكنِ فاستَلَمَهُ، ثمَّ خرَجَ إلى الصَّفا) صحيح الترميذي

حكم الصلاة خلف المقام: حكمها سنة مؤكدة.

يستحب إذا انتهى من الشوط السابع من الطواف؛ أن ينطلق إلى مقام إبراهيم ويقرأ (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى).

أنه لا يشترط الدنو من المقام، وأن السنة تحصل بهما وإن كان مكانهما بعيداً من المقام.

أن يجعل المقام بينه وبين الكعبة ويصلي ركعتين، قال جابر: (ثم أتى مقام إبراهيم فصلى). رواه مسلم

ورجح هذا القول ابن كثير في تفسيره حيث قال بعد أن ذكر حديث جابر السابق: فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة.

قالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، وافَقْتُ رَبِّي في ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يا رَسولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِن مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125] .... صحيح البخاري

قال سعيد مصطفى ذياب: قد تقوم لله تعالى مقامًا يرى فيه صدقكَ، ويعلم منه إخلاصك، فيكتب الله تعالى لك به السعادة في الدارين، في الدنيا ينشر الله تعالى في العالمين ذكرك، ولا تذكر إلا مشفوعًا بالرحمات، والدعوات، وحسن الثناء عليك، ويكتب الله تعالى لك به رضوانه إلى يوم تلقاه.

هذا خليل الرحمن إبراهيمُ عليه السلام، قام لله تعالى يبني له بيتًا، وقد ماجت الأرض بالشرك، وضرب الباطل فيها أطنابه، وعم الشر في أنحائها، وانتشر الجهل في أرجائها، فقام إبراهيم عليه السلام، يمزق أطمار الجهل، ويكشف أستار الباطل، ويحطم رموز الشرك، ويمحو آيات الشر، وما لانت له عزيمة، ولا فترت له همة، ولا ضعفت له قوة، فناظر هذا حتى قطعه، وجادل أولئك حتى أفلج حجتهم، وقام أمام جحافل الشرك وحده، يعلن توحيده، واعتصامه بدينه، وثقته بربه، ثم بنى لله بيتًا فأتم بنائه، وأعلى أركانه، وطهره للطائفين، وهيأه للرُكَعِ الساجدين، وما ثَمَّ رُكُعٌ ولا سجودٌ، ولا من يطوفُ بالبيت سواه وأهله المقربون، ثم أذن في الناس بالحج، ثم مضى لربه راضيًا مرضيًا، فخلد الله تعالى في العالمين ذكره، وأعلى بين الأنام شأنه، فجَعَلَ مَوْطِئَ قَدَمَيْهِ مُبَارَكًا، وأمر المؤمنين باتخاذه مصلى، يتقربون لله تعالى عنده، ولا ينسون بركته وفضله، وأنى لمثل إبراهيم عليه السلام أن ينسى، وقد أجاب الله تعالى دعائه إذ قال: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخَرِينَ} سورة الشعراء: الآية/ 84

واللِّسَانُ الصِّدْقُ: هُوَ الثَّنَاءُ الصَّالِحُ، وَالذِّكْرُ الحسنُ مِنَ النَّاسِ مِنْ جميعِ الْأُمَمِ، إلى قيام الساعة.
فكم من الخلق يلبون كل ساعة نداءه؟ وكم من الخلق يحيون كل ساعة آثاره؟ وكم من الخلق يلهجون كل ساعة بالصلاة وحسنِ الثَّنَاءِ عليه؟

اللهم استعملنا في طاعتك، ويسر لنا سبل مرضاتك.